تطور القصة الليبية القصيرة

بقلم أحمد محمد عطية

مع ان نقاد القصة الليبية القصيرة يجمعون على تحديد استقلال ليبيا (في أول يناير ١٩٥٢) كتاريخ لبداية ذلك الفن الحديث في ليبيا (١) ، الا ان الدكتور عبد القادر القط (٢) أرجع هذا التاريخ الى عام ١٩٣٥ باكتشافه لقصص القاص الليبي وهبي البوري المنشورة بمجلة ليبيا المصورة . غير أن الكل يجمع على ان تلك البدايات الاولى لفن القصة القصيرة في ليبيا لم تكن غير بدايات مضطربة على صعيد الفن والمضمون . « فقد كان الطابع الذي يغلب على المحاولات الاولى ـ كما كتب خليفة التليس ـ طابعا عاطفيا ذاتيا يقرب بها بين الاعتراف والحكاية والسيرة الذاتية ، وتسيطر فيها مشكلة المرأة سيطرة تكاد تكون تامة » (٣) . وعلى أي حال فقد شهد ربع القرن الاخير تطورا كبيرا في فن القصة الليبية القصيرة ، تمثل في المجموعات القصصية الصادرة عن دور النشر الخاصة والعامة وفي القصص القصيرة المنشورة بالمجلات الادبية والصحف العامة وفي اتساع نطاق القاصين والمتلقين بحيث احتلت القصة القصيرة مكان الصدارة في الانتاج الادبي الليبي الحديث ، بعد أن كانت نشأتها في أحضان الشعر الليبي (٤) ، أقدم الفنون الادبية الليبية . وقد سبق لكاتب هذه السطور كتابة دراسة عن « القصة والانسان في ليبيا » (٥) تعرض فيها لتاريخ القصة القصيرة والظروف الاجتماعية والسياسية الملازمة لتطورها في ليبيا ، فلا داعي لتكرار ما كتب (ومن المؤسف ان سلطات العهد الملكي السابق قد صادرت عدد « الآداب » المنشورة به الدراسة ومنعته من دخول ليبيا ، غير أن بعض الكتاب الليبيين تمكنوا من الحصول على بعض النسخ من بيروت مباشرة) ، كما تعرضت الدراسة للمجموعات القصصية « الشراع الممزق » لعلي مصطفى المصراتي ، و « الجدار » ليوسف الشريف ، و « الناس والدنيا » لبشير الهاشمي ، و « البحر لا ماء فيه » لاحمد ابراهيم الفقيه ، وقصص رمضان عبد الله . وتناول الكاتب أيضا مجموعتين أخريين بالدراسة النقدية على صفحات «الآداب» الاولى « ٥ يونيو حرب أو لا حرب » لابو بكر الهوني (٦) ، والثانية « قبل أن تموت » للسنوسي الهوني (٧) . ولا تهدف هذه الدراسة الى اجراء مسح شامل للقصة الليبية القصيرة ، فذلك موضوع كتاب ، ولكنها تعمد الى اختيار بعض النماذج الممثلة لتطور فن القصة القصيرة في ليبيا في الستينات .

في الستينات سنجد الهموم السياسية والاجتماعية وتصوير مشاكل الرجل الليبي الصغير تشغل الاقصوصة الليبية ، ولا شك ان هذا الطابع السياسي والاجتماعي جاء نتيجة طبيعية لزوال الضغط الفاشستي للاستعمار الايطالي والضغوط الاستعمارية الاخرى التي حرمت القاص الليبي من المشاركة في الحياة السياسية والتعبير عن رأيه بصراحة وصدق ، مما حرف القصة القصيرة الناشئة في ليبيا الى اهتمامات جانبية وحولت عمله الى نوع من الاعتراف والسيرة الذاتية والرؤى الساذجة لموضوع العلاقة بين الرجل والمرأة وسطوة القدر الغيبية ، كما كان من آثار الارهاب الاستعماري انغلاق ليبيا وعزلتها عن متابعة الانتاج القصصي العربي والعالمي والتجديدات المتطورة للشكل القصصي . ولذا يعد أدب الستينات بمثابة قفزة بالاقصوصة الليبية توازي الانفتاح على الثقافة العربية والعالمية والتأثر بالتيارات الادبية والسياسية في العالم العربي عن طريق المجلات الادبية والكتب العربية والمترجمة ، وأيضا عن طريق المبعوثين والمسافرين الى الخارج والجامعة الليبية التي أخذت تغذي الحياة الثقافية الليبية بنوعية جديدة من المثقفين الليبيين . أضف الى ذلك ان الخمسينات والستينات هي سنوات المد الثوري واليقظة والاحداث الاجتماعية والسياسية الهامة في العالم العربي وفي مصر بالذات المتصلة بليبيا والتي تعكس تطوراتها عليها . ان جيل الستينات في القصة الليبية القصيرة هو جيل التفتح للاحداث السياسية والاجتماعية ، وأيضا جيل الطموح الى فن قصصي متطور ومستكمل لادواته الفنية وشكله الفني الصحيح . وترجع ارهاصات هذا الجيل الى أواخر

---

(١) نجم الدين الكيب ، دراسات في الادب والفن ، نشر مكتبة الاندلس ببنغازي ، الطبعة الاولى ، ابريل ١٩٦٨ ، ص ٦٠ .

(٢) د. عبد القادر القط ، بدايات القصة الليبية القصيرة ، مجلة « المجلة » ، عدد يناير ١٩٧١ .

(٣) خليفة محمد التليس ، لمحة على الحياة الادبية في ليبيا ، مجلة « الرواد » ، عدد مارس ـ ابريل ١٩٦٩ .

(٤) نجم الدين الكيب ، دراسات في الادب والفن ، ص ١٤٧ . وراجع أيضا دراستنا « مع شاعر ليبي معاصر » المنشورة بمجلة « المصور » ، العدد التذكاري السنوي « نحن العرب » ١٩٧٠ ـ ١٩٧١ .

(٥) مجلة « الآداب » ، عدد يونيو (حزيران) ١٩٦٨ .

(٦) مجلة « الآداب » ، عدد سبتمبر (أيلول) ١٩٧١ .

(٧) مجلة « الآداب » ، عدد ديسمبر (كانون الاول) ١٩٧١ .

الخمسينات ، غير ان انتاجه الوفير في المجموعات القصصية ظهر في الستينات . بل ان الاهتمام بالسياسة سنجده يمتد الى الجيل السابق من كتاب الخمسينات ، ويمثله الاديب الليبي علي مصطفى المصراتي الذي أصدر ثلاث مجموعات قصصية هي : « مرسال » (١٩٦٢) ، « الشراع الممزق » (١٩٦٣) ، « حفنة من رماد » (١٩٦٤) ، وذلك بالاضافة الى مجموعة كتب الدراسات الادبية والتاريخية .

في « حفنة من رماد » ستطالعنا أولى قصص المجموعة « مسمار لموسوليني » بذلك الوجه السياسي لقصص الستينات الليبية ، ومع ان القاص علي مصطفى المصراتي قد اختار اللحظة الهامة المعبرة من حياة بطله « فرعاس » ، الا انه سبقها بمقدمة سياسية طويلة أشبه بالتحقيق الصحفي عن ظروف الاستعمار الايطالي لليبيا واضطهاد الفاشست البشع للشعب الليبي ، وقد استغرقت تلك المقدمة السياسية المباشرة ١٤ صفحة من صفحات القصة البالغ عددها ٣٢ صفحة ، وكان يجب على الكاتب اقتطاعها من القصة اكتفاء بدلالة الصورة القصصية وثرائها . بل ان الصفحات الباقية من القصة مشحونة بالعبارات السياسية الخطابية وكذلك الختام التقريري ، التي لو خلص منها القاص لتبقت لنا قصة قصيرة فنية صادقة ومعبرة ومتكاملة « الفرعاس » ، صانع السروج العربية ، وابن أحد المجاهدين الليبيين الذين فقدوا ثرواتهم وحياتهم بسبب وقوفهم في وجه الطغيان الايطالي الفاشستي ، وكيف فرض على الليبيين التظاهر باحترام الفاشست وتعليق صور موسوليني ، بينما عكف « فرعاس » بطل القصة على تنمية روح الحقد والغضب ـ في ابنه ـ ضد المستعمر الايطالي ، حتى اذا ما اعلن عن زيارة موسوليني لليبيا واجبرت سلطات الاحتلال الايطالي « فرعاس » على عمل سرج عربي فاخر يقدم كهدية لموسوليني، وجد بطلنا فرصته للانتقام من الزعيم الفاشستي فوضع له مسمارا في السرج سرعان ما أدماه . ولكن القصة صورت هذا الانتقام كحقد صغير لم يشعر به الشعب ، وذهبت تضحية بطلنا « فرعاس » هباء في السجن كما تذكر القصة في بيانها الختامي التقريري الذي أفسد محتواها وهدفها : « كان فرعاس يساق الى السجن .. لم يسأل أحد عن مصيره ولا يدري أحد من المواطنين نهايته ، أفي قاع البحر أم بحبل المشنقة .. ولكنه اطمأن لانتقامه .. كان وهو يساق الى السجن والتحقيق يحتضن سرج أبيه ويقبل لطعة الدم المقدس فيه » (٨) .

تمثل قصص علي المصراتي تقدما في طريق تطور القصة الليبية القصيرة ، فهي باهتماماتها السياسية والاجتماعية وطرقها باب التعبير عن هموم الرجل الليبي البسيط وتصويرها الصادق للواقع الليبي في الخمسينات وما قبلها ، تقدم أدب الاحتجاج وتحاول تصوير الانسان ـ في حالة حركة ـ بعيدا عن سطوة القدر والصورة القديمة لموضوع العلاقة بين الرجل والمرأة كما فعلت القصة الليبية في بداياتها وقصصها السابقة . كذلك يمكن القول بأن فهم علي مصطفى المصراتي لفن القصة القصيرة ، كتعبير عن موقف أو لحظة هامة في حياة الانسان الصغير ، تطور بالقصة الليبية القصيرة من مفهوم الحكاية القديمة التي تحكي قصة الانسان كاملة من مولده الى نهايته الى قصة الموقف أو اللحظة . غير ان قصص علي المصراتي يشوبها أسلوب التحقيق الصحفي الحافل بالشروح والايضاحات والوصف الخارجي السطحي والحرص على الزج بعبارات تقريرية سياسية أو التدخل في القصة بتعليقات مباشرة ، كما يحرص المصراتي على انهاء قصصه بعبارة تقريرية تلخص الغاية من كتابة القصة أو ختام القصة بحكمة وعظية .

(٨) علي مصطفى المصراتي ، حفنة من رماد ، مطابع دار الفندور ببيروت ، الطبعة الاولى ١٩٦٤ ، ص ٣٢ .

خليفة التكبالي وكامل حسن المقهور قاصان من جيل الستينات (جيل أحمد ابراهيم الفقيه وبشير الهاشمي ويوسف الشريف ويوسف الدلنس) الذي بدأت كتاباته في أواخر الخمسينات (١٩٥٧ وما بعدها) جيل النضج الفني والسياسي . والملاحظ على كتّاب القصة الجدد تأثرهم بالقصص العربية وانفتاحهم على العالم الخارجي عن طريق الرحلات والدراسة والعمل في العالم العربي وأوروبا ، ولا شك ان هذا كله أسهم في انضاج تجاربهم ومعاناتهم واتساع مجال الرؤية أمامهم . وقد صدرت المجموعة القصصية « تمرد » (٩) ـ الفائزة بالجائزة الثانية في مسابقة اللجنة العليا للاداب والفنون بليبيا عام ١٩٦٥ ـ بعد أيام من وفاة مؤلفها الشاب خليفة التكبالي في شهر يونيو من عام ١٩٦٦ ، وبوفاته خسرت القصة الليبية واحدا من انضج كتّابها الذي تمرس بخبرات وأعمال شتى كعامل يدوي في بلاده ثم في المانيا لمدة ثلاث سنوات ، وكذلك توفي القاص الليبي يوسف الدلنس في زمن لاحق ، وكان القاصان يعدان بانتاج قصصي يسهم في تطوير القصة الليبية القصيرة .

وتتقدم قصص خليفة التكبالي خطوات في طريق تطور القصة الليبية القصيرة ، باستبعادها لكل عيوب قصص الجيل السابق ، فلا مقدمات ولا شروح ولا تعليقات مباشرة ولا حكم وعظية ، ولكن القصص تختار من حياة الرجل الليبي العادي لحظة هامة كتلك التي وصفها فرانك أوكونور بأنها « شيء ينبع من حادثة واحدة ، ويسع الماضي والحاضر والمستقبل .. وبما ان حياة بأكملها لا بد ان تحتشد في بضع دقائق فان هذه الدقائق لا بد ان تختار بعناية حقيقية » (١٠) . وتمثل قصص التكبالي بنقدها الحاد للمجتمع الليبي بداية أدب الرفض في القصة الليبية القصيرة ، كما انها تتميز بحس انساني مرهف وبعد عن الصرخات الخطابية . ففي قصته « موظف جديد » اختار التكبالي تلك اللحظة الهامة في مواجهة الموظف الجديد لبداية حياته الوظيفية ، وعمق هذه اللحظات بنقلات سريعة من داخل الموظف الجديد الى المواجهة الخارجية مع الجهاز الحكومي وزملائه الرافضين لاي دخيل عليهم ، الى حد المشاركة في ضحكهم الساخر منه كوسيلة وحيدة للاقتراب منهم ، غير انه لم يتخلص من الجملة التقريرية الختامية التي دأبت القصص الليبية السابقة على ذكرها دون داع فني ، كقوله « تعري نفوسنا أمام هذا الغريب ، هذا الشخص المتبلد الجالس » (١١) .

أهم قصص مجموعة التكبالي قصته « الكرامة » التي تصور ليبيا الجديدة ، ليبيا البترول ، وتصور القصة حادثة صدام بين عامل عربي وثلاثة من الاميركيين العاملين بآبار البترول ، وبوعي سياسي قدم التكبالي صورة حقيقية صادقة للاستعمار الاميركي الجديد الذي يستغل ثروات ليبيا البترولية وخيراتها ويلقي بالفتات الى العمال العرب في ليبيا ، وجاءت اللحظة المعبرة عندما طلب الاميركيون الثلاثة طعاما لليبيا شعبيا (الدلاع) من العامل الليبي ، فكان هذا الحادث الذي فجر كل الآلام المكبوتة لدى بطل القصة ولدى الشعب الليبي كله ، فرفض بطلنا التسليم للاميركيين بطعامه الشعبي البسيط ، ودهش الاميركيون بهذا الرفض الليبي لاول مرة ، وفكر بطلنا بأن رفضه هو أمر ضروري لكرامته مهما كانت المعركة خاسرة مع الاميركيين: « لم أعجب لدهشتهم فقد كنت أنا نفسي دهشا لتصرفي ولو طلب مني

(٩) خليفة التكبالي ، تمرد ، نشر اللجنة العليا لرعاية الفنون والآداب ، طرابلس ١٩٦٦ .

(١٠) فرانك أوكونور ، الصوت المنفرد ، ترجمة الدكتور محمود الربيعي ، نشر دار الكاتب العربي بالقاهرة ، الطبعة الاولى ١٩٦٩ ، ص ١٧ .

(١١) تمرد ، ص ٤١ .

تعليله لما استطعت ولكن بنفسي كان ذلك الشيء الذي يمنعني . كان قلبي مجروحا . . عاطفتي وكرامتي .. كانوا أحرارا في أخذ ما يريدون .. وكان ما يأخذونه ممتازا .. وكنا نحن العرب نأخذ السقط من كل ذلك .. لم يكن رفضي حبا في (الدلاع) أو خوفا عليه من النفاذ .. اذ انه موجود بكميات كبيرة ، ولكنه مخصص لنا نحن العرب .. ولم يكن الاجانب يأكلونه .. لانهم كانوا يأكلون أنواعا أخرى أحسن وأطيب. كانوا يأكلون كل يوم صنفا ممتازا وحسب رغبتهم .. أما نحن فما كان لنا أن نستزيد شيئا من حصتنا الضئيلة .. وقد كنت في بعض الاحيان أتمنى أن آكل مما يأكلون .. أغبطهم وأشعر بالغيرة منهم .. ولكنني دائما أكبح جماح نفسي ، وأعترف بيني وبين نفسي انهم فنيون وان مرتباتهم أكبر وبالتالي فان لهم الحق في أن يأكلوا أحسن .. فلماذا اذن (الدلاع) . كنت أشعر انهم يريدون اهانتي ، يتعمدون ذلك » (١٢) .

وابتداء من هذه اللحظة الكاشفة أيقن العامل العربي انه لا بد من أصدام مع الاميركيين ـ « المتفطرسين » كما تصفهم القصة ـ وانه كلما جبن أمامهم كلما ازدادت غطرستهم ، لذا فعندما بدأ العربي في الهجوم اليائس انشرس آخذ الاميركيون في التراجع . وقصة «الكرامة» ـ كما نرى ـ تنقل أدبه نقلة كبيرة من أدب الرفض الى أدب الدعوة الى تغيير الواقع ، أدب القضية . ذلك الادب الذي عبرت عنه قصص حسن كامل المقهور أدوع تعبير .

* * *

كامل حسن المقهور ، ناقد وقصاص تقدمت القصة الليبية القصيرة على يديه ، وأكاد ان اقول ظفرت بمجموعته القصصية « الامس المشنوق » (١٣) ، التي كفلت له الفوز في عيد العلم الاول بعد ثورة الفاتح من سبتمبر ١٩٦٩ . أما قصة « الامس المشنوق » التي أعطت عنوانها للمجموعة القصصية ، فهي قصة قصيرة طويلة بسيطة ، لانها لم تزدحم بالمناقشات او التعليقات المباشرة ، كما لم تزدحم بالاحداث المطولة والشخصيات المتعددة والازمنة الطويلة . بل هي محدودة جدا لانها تستغرق يوما واحدا فقط من ناحية الزمن . وقد لجأ الفنان الى تقسيم اليوم الى أربعة أقسام بحيث يتميز كل قسم بالحركة التي تدفع بالحدث والقضية الى الامام . والاقسام الاربعة هي على التوالي : « الصباح » ، « عمار اللي شدوه » ، « الخوف » و « الموت » . فهي قصة قصيرة من حيث النهج الفني وطبيعة الموضوع ، وهي طويلة بسبب عدد صفحاتها الخمس والتسعين. وتعد قصة « الامس المشنوق » بمثابة التجسيد العملي لفنية القصة القصيرة والنموذج الامثل لادب القضية ، لانها كتبت بوعي كامل بأصول القصة القصيرة ، كما كتبت ايضا لخدمة قضية الشعب العربي الليبي وتطلعه للحرية والوحدة ، فهي قصة سياسية دون هتافات أو شعارات أو خطب ، وحتى ليبيا لم ترد في القصة بشكل مباشر وانما في صورة « فطومة » التي تحيط أبناءها بالرعاية وتتطلع اليهم بأمل في المستقبل القريب ، مستقبل ليبيا وأبناء ليبيا ، وهي قصة جريئة لانها تدين النظام الملكي الحاكم المتحالف مع الاستعمار . ومن الغريب والمفرح حقا ان الكتاب الذي ضم هذه القصة وبعض القصص الاخرى ، صدرت طبعته الاولى في طرابلس خلال شهر يوليو (تموز) ١٩٦٨ ، أي في ظل الحكم الملكي وقبل ثورة الفاتح من سبتمبر الليبية بأكثر من سنة . فالقصة تتناول لحظة هامة من حياة الناس المغمورين الكادحين في ليبيا قبل الثورة ، وهي بهذا تعبر عن فهم صحيح لفن القصة القصيرة ، لحظة هامة قصيرة من حياة الناس في ليبيا ، ومع هذا فهي لحظة غنية تكاد ان توضح حياتهم كلها . وذلك لان اختيار تلك اللحظة تم بعناية فائقة ، لكي تصبح ذات دلالة فكرية هامة ايضا في أدب القضية . فهي قصة واقعية بمعنى الاختيار من الواقع وليس نقل الواقع وتصويره فوتوغرافيا . وبعد ان وفقت القصة في اختيار هذه اللحظة الهامة التي لا تعدو يوما واحدا في حياة الناس المغمورين في ليبيا ، نجحت أيضا في خلق الحدث النامي المتطور المحرك لحياة الناس ولتطور القصة . فقد جمعت القصة الى كل هذا عنصر التشويق والمتعة الواجب توافره في كل أدب وفن . وقد التقطت القصة حياة الناس في أحد الاحياء الليبية منذ أول اشراقة للصباح حتى قرب مطلع صباح اليوم التالي . أما الناس المغمورون فهم باعة الصحف البؤساء الذين أظهرت القصة ان بؤسهم كان بسبب سلوك السلطة الليبية الرجعية نحو السياسة والمجتمع في ليبيا ما قبل الثورة . فكبت الحرية وما يتبعه من فرض الرقابة على الصحف ومصادرتها ، وهو سلوك سياسي كما نرى ، قد انعكس بشكل مباشر على حياة هؤلاء الناس المغلبين الذين يرتزقون من بيع الصحف ، وهذا واحد منهم ، « منصور » ، الذي لم يبع بالامس « الا عشرة «كوريري» واثنين «طرابلس» ، و «الاهرام» لم تصل والسوق يأكلها الكساد .. دائما يأكلها الكساد » .. هكذا صورت القصة حياة هؤلاء الناس المغمورين العاديين كشريحة من حياة المجتمع كله ، الكساد والاضطهاد والحياة المكررة الراكدة كبحيرة ساكنة ، ولكن هذه الحياة لم تلبث ان تحركت فجأة بعنف من جراء القاء خبر جاء كالحجر عندما يفجر سطح البحيرة الراكدة . أما الخبر فهو نشوب ثورة في العراق ونجاحها . وعند هذا الحد تتوالى الاحداث ، وهي في توالبها انما تصور نوعية الحياة والصراع في ليبيا ما قبل الثورة . فالسلطة تمنع الخبر عن الناس وتصادر الصحف المصرية . ولكن هؤلاء الناس البسطاء المغمورين الخاملين لم تلبث ان أيقظتهم ثورة العراق وفجرت فيهم الحيوية والثورية . فالعمال الذين يعملون مضطرين في معسكرات المستعمر ، والمثقف الثوري والمثقف البورجوازي ، والحاج صاحب المقهى ، وليبيا كلها التي كانت ساكنة لم تلبث ان تحركت وتفجرت بالحركة وكفت عن المراقبة والسكون . ليبيا التي صورها كامل المقهور في صورة « فطومة » التي منعت من التعليم ومن المشاركة في الحياة العامة وسجنت فاكتفت بالمراقبة ، « ففي الشارع شاهد الناس وهم يبدون الحركة والحياة ، وأحس ان « فطومة » لا تريد مشاهدة البنايات والارصفة ، ولكنها تنظر الى شيء يعمر بالحركة .. » . وازاء هذا الموقف الجديد المتفرج ، تسقط الاقنعة وتتكشف المواقف الحقيقية للناس . ف « سي عبد الحميد » المثقف البورجوازي المتعالي قد باغتته الثورة فلم يدرك خبرها الا من أفواه العمال ، رغم حيازته لجهاز راديو . وقد أذهله الخبر وأذهله أيضا ان يسبقه العمال الى معرفته . وهي مسألة ذات دلالة واضحة على تخلف المثقف البورجوازي عن الركب ويقظة العمال . أما المثقف الثوري « فوزي » فقد وجد فيها فرصته وطاقة ثورية جديدة لتحريك الناس في ليبيا نحو الثورة. والحاج الذي ملّ حياته الرتيبة وزوجته المريضة « عيشة » ، وافتقد الجدة والشباب والحيوية ، وجد في الخبر ضالته المنشودة . « لكنه كان يوما جديدا حقا ، حتى عيشة لم تخطر بباله تلك اللحظات ، اذ أحس وهو يسمع الراديو بملايين الناس تتحرك في عنف » . والناس جميعا تعيش ذلك اليوم لتعبر عن شيء جديد ، حتى الحاج أحس بشيء جديد يدخل أعماقه « علي الطلاق واليمين انسيت روحي .. آه لو كنت غادي » . وهكذا زحف الخبر على الناس جميعا ولكنه الهب مشاعر المغمورين والكادحين سكان الاكواخ الصدئة (البراريك) . كذلك كان الصباح المتفجر ، فاذا ما انتصف النهار ازدادت الامور وضوحا . ففطومة (ليبيا : أحبت الصباح وأحبت « فوزي » المثقف الليبي الثوري ، منذ قدومه من القاهرة ، ونلاحظ هنا وضوح دلالة

---

(١٢) المصدر السابق ، ص ١١٦ و ١١٧ .

(١٣) كامل حسن المقهور ، الامس المشنوق ، نشر دار المصراتي ، الطبعة الاولى ، طرابلس ١٩٦٨ .

مصر المقترنة بالثورة . فالصحف المصرية هي التي تحمل الانباء ، وهي لذلك التي تتعرض للمصادرة ، وفوزي قادم من مصر فلذلك تعطف ليبيا عليه وترنو اليه بأمل في المثقف العربي الثوري . ولكن فوزي يخضع للمراقبة الدائمة من أشباح السلطة . ومنصور بائع الصحف الذي أمل في رواج « الاهرام » لانتعاش ماليته لم يلبث ان صدم بمصادرة الرقابة للصحف ، ويحس منصور بأن الجرائد ليست موردا للرزق فقط ولكن للحرية والمعرفة . والناس يهمسون في كل مكان بالاخبار الجديدة .. ويشعر « عمار » بائع الصحف ايضا بأن الجرائد هي صلته الحقيقية بالناس .. وكان يحس ذلك اليوم بأن جزءا كبيرا من حياته قد خنق وان يدا ضخمة تمسك بخناقه وتحاول ان تقتله .. لذلك لم يلبث ان صاح في جرأة وبلا خوف : « أولاد الكلب .. حتى الجرايد ؟!.. » . ونال جزاءه على شجاعته بالاعتقال . هذا ما اقترب النهار من نهايته يعود طابور العمال الكادحين من عملهم خارج مطار الملاحة الكبير حيث يمهدون الطرق لطائرات المستعمر ويعانون المذلة من جراء معاملة جنوده التي احتدت بعد انتشار خبر الثورة . لقد بدأت ساعة العمل وعمت المنشورات المدينة والمعسكرات وأخذ الكل يعمل ضد الخوف بتوزيع المنشورات ، وبدأ التفتيش والفصل والسجن والارهاب ، وازدادت المراقبة البوليسية التي رمز لها الكاتب بالاشباح والظلال السوداء . وهكذا تعقد الحدث في القسم الثالث من القصة . وفي القسم الرابع تسقط الشمس ومعها ذلك النهار ، ويهجم الليل محملا بالصمت والوجوم وازدياد حركتي توزيع المنشورات والقبض على الناس معا ، حتى يتم القبض على كل أعضاء الحركة الثورية . ولكن ، وحتى لا يضيع الامل ، يفلت منصور من قبضة السلطة الارهابية ، ليعمل من أجل مطلع صباح جديد ، ليشنق الامس الرهيب ويخلق الفجر الجديد . أما الذين ضمتهم عربة الاعتقال فقد نظرت اليهم ليبيا بعين الامل والثقة .

وهكذا تضيف هذه القصة القصيرة الطويلة « الامس المشنوق » لحسن كامل المقهور ، الى جانب عنايتها الرائعة بالشكل الفني ، مضمونا ثوريا من خلال البناء الفني الهامس وليس الصاخب .. فتبدو أقوى من آلاف المنشورات والخطب والهتافات ، وذلك بالامتزاج الناجح بين العام والخاص وبحيث عايشت شخصيات القصة المشاكل السياسية العامة وكأنها أدق قضاياها ومشاكلها الخاصة .

وبالاضافة الى قصته القصيرة الطويلة « الامس المشنوق » التي منحت عنوانها للكتاب ، احتوت المجموعة القصصية على قصة اخرى قصيرة طويلة ايضا بعنوان « قلب المدينة » ، وخمس قصص قصيرة ، اما القصص الخمس القصيرة فهي قصص انسانية تبتعد عن ادب القضية ولكنها تقترب من ادب النماذج الانسانية . وهي تقدم وجها باسما متفائلا للانسانية برغم ما تعانيه شخصياتها من مكابدات الحياة ، كما تقدم نوعا من الاحتجاج على الحد من حرية الانسان الشخصية في قصة « زين القمر » الى الاحتجاج على ضياع الانسان في ذكريات لا أهمية لها ! ومن تصوير المواجهة الاليمة بين الانسان بعواطفه ومشاعره وذكرياته وبين الآلة الصماء الجبارة في قصة « البكاء » ، الى تقديم صورة انسانية لكفاح الانسان ونجاحه في تحقيق ارادته في قصة « عيناه خطان أسودان » . قصص قصيرة تلتقط من حياة شخصياتها وواقعها لحظات انسانية معبرة عن صراع الانسان الليبي المقهور والمطحون في مواجهة قوى وأقدار وتقاليد عنيدة . وسنلاحظ ان شخصيات كامل المقهور شخصيات انسانية معذبة تمثل السواد الاعظم للشعب الليبي قبل الثورة .

أما قصة « قلب المدينة » التي تقع في حوالي الاربعين صفحة ، فهي قصة سياسية تستخدم أسلوب التعبير بالصور في تصوير موقف الشعب الليبي من التصدي لمشروع بيفن الاستعماري .. وقد استخدم كامل المقهور فنية القصة القصيرة لتجسيد هذه المواجهة الشعبية ، شخص بطل ليبي من جماهير الكادحين الليبيين الذين تصبهم العربات في قلب المدينة ثم يزحفون الى الاحياء الشعبية حيث الاكواخ والاحواش الآيلة للسقوط . وحيث يغلي السكان بالعداء للسلطة الاستعمارية وتاريخها الاسود في اضطهاد الشعب الليبي المناضل ، أما بطل القصة « أبو بكر » فقد خرج من صفوف الشعب للعمل في صفوف الشرطة المؤتمرة بأمر ضباط الاستعمار . وتأتي المفارقة من أن الشعب الذي ينتمي اليه أبو بكر يعد لمظاهرات عنيفة ضد المشروع الاستعماري ، بينما تعد السلطة الاستعمارية العدة تضرب الجماهير الثائرة بالعنف والحديد والنار .. ويتأرجح بطلنا بين ولائه لشعبه وبين ولائه الجديد لسلطته ، حتى اذا حانت ساعة المواجهة انضم ابو بكر الى صفوف الشعب وقتل الضابط الانكليزي هاتفا بسقوط الاستعمار . وقد صورت القصة بمهارة الصراع الداخلي الذي يفور في داخل ابي بكر بين ما تعلمه من احتقار الجماهير وسبهم كما تقول السلطة الاستعمارية ، وبين حنينه لاصله وأهله وناسه الذين لم يخلع جلده منهم ، والتفتت القصة ايضا الى الجانب الآخر حيث الاهل والاصدقاء يترددون بين الشك في الابن الذي أصبح في جانب الاعداء ، وبين الثقة في ولائه لاهله وجذوره الشعبية الاصيلة . هي قصة سياسية أيضا .

وهكذا تحتل السياسة جانبا كبيرا من قصص الستينات الليبية ، كتعويض عن تحريم الموضوعات السياسية على الكتاب الليبيين تحت وطأة الاحتلال والقهر الاستعماريين وأيضا كانفتاح على التغيرات الادبية والسياسية في العالم العربي . أن جيلا جديدا من القصاصين الليبيين يتشكل وينمو وينتشر ويعطي اسهاماته في طريق تطور القصة الليبية القصيرة ، مثل « رجب الشلطامي » و « رمضان عبد الله » وغيرهما ، جيل يؤمن بأهمية القصة الليبية في الالتزام بتعرية الواقع والكشف عن صراعاته ، كما كتب القاص الليبي رمضان عبد الله : « لا بد ان تعكس القصة الليبية ، في هذه الآونة من تاريخ الحركة الادبية ، الواقع الاجتماعي لحركة جماهير شعبنا .. ان الالتزام بتعرية الواقع والكشف عن الصراعات الحادثة فيه هي اليوم مهمة الكاتب .. وان حاجتنا الى المزيد من الارتباط بقضايا الشعب والكشف عنها سلبا وايجابا لتحدد بذلك قطاعات شعبنا من خلال تركيبه الاجتماعي الجديد والمصحوبة بعلاقات الانتاج الجديدة والتي من ابرزها صناعة البترول ، هي اليوم من أولى مهام رواد القصة في بلادنا .. » (١٤) .

القاهرة — **أحمد محمد عطية**

(١٤) رمضان عبد الله ، مفهوم القصة المعاصرة ، مجلة الرواد ، عدد مايو ١٩٦٦ .

مؤلفات هربرت ماركوز

ق.ل.

- الانسان ذو البعد الواحد ٤٠٠
  ترجمة جورج طرابيشي
- نحو التحرر (فيما وراء الانسان ذي البعد الواحد) ٢٠٠
  ترجمة ادوار الخراط
- فلسفة النفي ٥٠٠
  ترجمة مجاهد عبدالمنعم مجاهد
- الحب والحضارة ٦٠٠
  ترجمة مطاع صفدي

دار الآداب ص . ب ٤١٢٣ بيروت